

(دور الأدب العربي في الحث على ممارسة الرياضة: مقدمة البندق لشمس الدين بن الصائغ أنموذجاً
أ.م.د. آمال يس عبد الخالق حسين)

مجلة اللغة العربية والعلوم الإسلامية
المجلد (2) العدد(7) - سبتمبر 2023م
الترقيم الدولي للنسخة المطبوعة: 2812-145 x الترقيم الدولي للنسخة الإلكترونية: 2812 - 5428
الموقع الإلكتروني: <https://jlais.journals.ekb.eng>

دور الأدب العربي في الحث على ممارسة الرياضة (مقدمة البندق لشمس الدين بن الصائغ أنموذجاً)

أ.د.م / آمال يس عبد الخالق حسين
أستاذ الأدب القديم المساعد - بقسم اللغة العربية وآدابها
كلية البنات - جامعة عين شمس

Journal of Arabic Language and Islamic Science Vol (2) Issue (7)-Sept2023
Printed ISSN:2812-541x On Line ISSN:2812-5428
Website: <https://jlais.journals.ekb.eg/>

دور الأدب العربي في الحث على ممارسة الرياضة

(مقدمة البندق لشمس الدين بن الصائغ أنموذجاً)

أ.م.د. / آمال يس عبد الخالق حسين

أستاذ الأدب القديم المساعد - بقسم اللغة العربية وآدابها

كلية البنات - جامعة عين شمس

amal.yassinhussien@women.asu.edu.eg

ملخص:

يرجع الباحث على اختيار موضوع الدراسة إلى أن أغلب نصوص النثر العربي لم تحظ بمثل ماحظيت به القصائد الشعرية بالدراسة والتحليل، فضلاً عن ارتباط أنموذج الدراسة بأحد الأنشطة الإنسانية المهمة في المجتمع المموكي. وتكمن أهمية الدراسة في عنايتها بإحياء التراث الأدبي، وإلقاء الضوء على أسبقيته في الحث على ممارسة الرياضة؛ لما لها من آثار إيجابية.

وتهدف الدراسة إلى بيان دور الأدب العربي في الحث على ممارسة الرياضة من خلال الوقوف على بعض أنواع الرياضات في العصر المملوكي، والتي سلب ابن الصائغ الضوء في قدمته على أهم رياضتين في هذا العصر هما: رياضة الصيد، ورياضة الرماية، وحث على ممارستها، وهذا ما تنادي به النظم المعاصرة، ويحرص الدستور المصري على جعل حق ممارسة الرياضة للجميع، ومن هذا المنطلق كان الأدب العربي اللبنة التي شيدت عليها الأنظمة المعاصرة حضاراتها، هذا بالإضافة إلى بيان ما تنطوي عليه مقدمة ابن الصائغ من وسائل أو أساليب في هذا الضرب من الرسائل.

واعتمدت في الدراسة على المنهج الوصفي الذي يعنى باستنباط العنصر التأثيري للوسائل أو الأدوات التي يوظفها المبدع في نصه.

كلمات مفتاحية: دور الأدب العربي - ممارسة الرياضة - ابن الصائغ.

Abstract:

The motivation for choosing the subject of the study is that most Arabic prose texts have not received the same level of study and analysis as poetic poems, in addition, the study model is linked to one of the important humanitarian activities in Mamluk society.

The importance of the study lies in its attention to reviving the literary heritage and shedding light on its primacy in encouraging the practice of sports because of its positive effects.

The study aims to explain the role of Arabic literature in encouraging the practice of sports by identifying some types of sports in the Mamluk era, which Ibn al- Sayegh highlighted in his introduction to the two most important sports in this era :hunting and shooting sports, and he urged practicing them, and this is what contemporary systems call for and are keen to do. The Egyptian Constitution stipulates that the right to practice sports be granted to everyone. From this standpoint, Arab literature was the building block on which contemporary regimes built their civilizations. This is in addition to explaining the means or methods implied by Ibn al-Sayegh, s introduction in this type of message.

The study relied on the descriptive analytical approach, which is concerned with deducing the influential element of the means or tools that the creator employs in his text.

Keywords: The role of Arabic literature- practicing sports-Ibn Al-Sayegh
مقدمة:

تمثل الرياضة أحد الأنشطة الإنسانية المهمة التي لا يخلو مجتمع من المجتمعات منها، فقد حظيت على مر العصور باهتمام الحكام؛ لما لها من آثار إيجابية على الصحة العامة من خلال بناء جسم الإنسان، وتقويته وحمايته عضوياً ونفسياً وعصبياً، وتربيته أخلاقياً وثقافياً.

ولقد أمدتنا الحضارة الإسلامية بصفة عامة والدولة المملوكية بصفة خاصة بالعديد من الموسوعات والمصادر والمراجع والرسائل المتصلة بتدريب الجند، وإعدادهم للمعارك، واستخدام البندق والسهم والرمح وإتقان الفروسية، وتأتي في مقدمة هذه المؤلفات خلال العصر المملوكي موسوعة "صبح الأعشى في صناعة

الإنشاء" للفلقشندي، وهذه الموسوعة -من حيث النصوص الأدبية التي احتوتها- تعد أغنى موسوعة في هذا الشأن؛ نظراً لوفرة عدد هذه النصوص التي ضمتها دفتاها. ويرجع الباحث على اختيار موضوع الدراسة إلى أن أغلب نصوص النثر العربي لم تحظ بمثل ما حظيت به القصائد الشعرية بالدراسة والتحليل، فضلاً عن ارتباط أنموذج الدراسة بأحد الأنشطة الإنسانية المهمة في العصر المملوكي. وتهدف الدراسة إلى بيان دور الأدب العربي في الحث على ممارسة الرياضة من خلال الوقوف على بعض أنواع الرياضات في العصر المملوكي، والتي سلب ابن الصائغ الضوء في قدمته على أهم رياضتين في هذا العصر وهما: رياضة الصيد، ورياضة الرماية، وحث على ممارستها، وهذا ما تنادي به النظم المعاصرة، ويحرص الدستور المصري على جعل حق ممارسة الرياضة للجميع، ومن هذا المنطلق كان الأدب العربي اللبنة التي شيدت عليها الأنظمة المعاصرة حضاراتها. هذا بالإضافة إلى بيان ما تتطوي عليه قدمة ابن الصائغ من وسائل أو أساليب في هذا الضرب من الرسائل.

وسأتناول الموضوع بمنهج وصفي يعنى باستنباط العنصر التأثيري للوسائل أو الأدوات التي يوظفها مبدع النص في نصه. أما الدراسات السابقة فمنها:

- تجهيزات رحلات الصيد لسلطين دولة المماليك البحرية 648هـ-884هـ
- 1250م-1382م دراسة حضارية، مجلة الخليج للتاريخ والآثار، مجلس التعاون لدول الخليج العربي، سامي ببن سعد بن عبد الله، ع13، أبريل 2018م.
- تطور رسائل الصيد في العصر المملوكي الأول (648هـ-784هـ)، المالكي علي عيسى محسن، مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع، كلية الإمارات للعلوم التربوية، ع24، مايو 2018م.

• رياضة الصيد والقنص في مصر الإسلامية من العصر الفاطمي وحتى نهاية العصر المملوكي، د/ ميرفت عبد الهادي عبد اللطيف، د/ أحمد راوي محمد، المجلة الدولية للتراث والسياحة والضيافة، كلية السياحة والفنادق، جامعة الفيوم، م14، ع2، ديسمبر 2020م.
وقد اقتضت طبيعة الموضوع تناوله على النحو الآتي:

-المقدمة: تناولت فيها الباحث على اختيار الموضوع، وأهداف البحث، ومنهج

الدراسة.

- (1) مفهوم الرياضة لغة واصطلاحاً.
- (2) أهمية الرياضة في حياة الإنسان.
- (3) ممارسة الرياضة بين القديم والحديث.
- (4) الفلقشندي ومؤلفه صبح الأعشى.
- (5) رياضتا الصيد والرماية في العصر المملوكي.
- (6) دور الأدب العربي في الحث على ممارسة رياضتي الصيد والرماية في العصر المملوكي.
- (7) قدمة البندق لشمس الدين محمد بن الصائغ إلى ابن المقر.
- (8) قدمة ابن الصائغ دراسة تحليلية:
أولاً: بنية المقدمة.
ثانياً: التضمين والنظم.
ثالثاً: السجع (الإيقاع).
رابعاً: التصوير البياني.
-الخاتمة: تناولت فيها النتائج التي تم التوصل إليها.
-المصادر والمراجع.

(1) مفهوم الرياضة لغة واصطلاحاً

الرياضة لغة: من راض يروض روضاً ورياضة، وراض المهر دربه، وراض نفسه على تحمل التعب، وتريض الشخص خرج قاصداً المشي على سبيل الرياضة. (1)

أما الرياضة اصطلاحاً فتعني "مجموعة الألعاب والتمارين البدنية التي يمارسها بعض الأفراد بروح المنافسة من أجل تنمية أجسامهم أو من أجل تسليتهم، خاضعين في ذلك لقواعد معينة في ممارستها". (2)

(2) أهمية الرياضة في حياة الإنسان

للرياضة أهمية قصوى في حياة الإنسان بديناً، وفكرياً، ونفسياً. فأهمية الرياضة بديناً تبدو في إعداد الأجسام القوية، وزيادة قدرتها على التحمل، كما أن الرياضة تحفظ جسم الإنسان من الكثير من الأمراض.

وأهمية الرياضة فكرياً تكمن في أن الألعاب الرياضية تزيد المقدرة على التحصيل، والتركيز، وتحديد الأهداف، وأهمها رياضة الرماية التي حث النبي صلى الله عليه وسلم على تعلمها، وضرورة إتقان أبناء المسلمين لها من أجل زيادة عنصر الدقة. (3)

وللرياضة تأثيرات نفسية تتحدد في إكساب الإنسان مستوى رفيع من الكفاءات النفسية كالثقة بالنفس، والانسجام بالانضباط الانفعالي، وانخفاض التوتر والميول العدوانية. (4)

(3) ممارسة الرياضة بين القديم والحديث

إن الأوضاع المعيشية التي أحاطت بالإنسان العربي قديماً من صعوبة العيش في البادية- والتي كانت تدفع القبائل إلى التنافر فيما بينها على الكلاً- جعلت العرب يقدمون على الرياضات كألعاب الفروسية التي كان لها النصيب الأكبر ولاسيما في الغزو.

وتجدر بنا الإشارة إلى أن الرياضة في المجتمعات البدائية لم تخضع لبرنامج منظم، أو ممارسة في أوقات محددة، فالإنسان البدائي مارس نشاطه البدني بطبيعته الفطرية؛ لأنه من ضروريات حياته اليومية. (5)

من كل الأنشطة التي قام بها الإنسان قديماً استوحيت العديد من الرياضات، فقد استوحيت من المطاردة أثناء الصيد رياضة العدو والرماية، ومن تجاوزه فيضان الأودية استوحيت رياضة القفز، وركوبه البحر للصيد أو التنقل استوحيت رياضة السباحة، ومن ركوبه الخيل للتنقل استوحيت رياضة سباق الخيل. (6)

وبظهور الإسلام دعت الشريعة الإسلامية إلى الاهتمام بالرياضة والحض عليها؛ لارتباطها بالأهداف التي دعا الإسلام إليها ومنها: الأهداف الجسدية والنفسية، والهدف الأسمى هو إعداد القوة؛ للجهاد في سبيل الله. وامتدح القرآن الكريم صاحب الجسد القوي القادر على تحمل الشدائد، قال الله تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (7)

أما في العصر الحديث ومع تقدم العلم وتطوره طبقت النظريات والمبادئ العلمية في شتى المجالات، فازدهرت التربية الرياضية من منطلق أن اللياقة البدنية هي الأساس في كل بناء تربوي والمثل الأعلى، فالعقل السليم في الجسم السليم. ولذلك حظيت الرياضة باهتمام كبير في مواد الدستور، فقد خصص مادة للتأكيد على أن الرياضة حق للجميع " ممارسة الرياضة حق للجميع وعلى مؤسسات الدولة والمجتمع اكتشاف الموهوبين رياضياً، ورعايتهم واتخاذ ما يلزم من تدابير لتشجيع ممارسة الرياضة." (8) كما نص الدستور المصري في ثلاث مواد أخرى على أهمية الرياضة. (9)

(4) القلقشندي ومؤلفه صبح الأعشى (10)

أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي المؤرخ الأديب، ولد في قلقشندة (إحدى قرى القليوبية بالقرب من القاهرة) عام 756هـ، وتوفي عام 821هـ عن عمر

يُناهِزُ خَمْسَةَ وَسِتِّينَ عَامًا، وَهُوَ مِنْ دَارِ عِلْمٍ، وَفِي أُنْبَاءِهِ وَأَجْدَادِهِ عُلَمَاءٌ أَجْلَاءٌ، وَكَانَ أَحَدَ الْفَضْلَاءِ مِمَّنْ بَرَعَ فِي الْفِقْهِ وَالْأَدَبِ وَكَتَبَ فِي الْإِنشَاءِ.

وَمِنْ تَصَانِيفِهِ (حَلِيَّةُ الْفَصْلِ وَزِينَةُ الْكُرْمِ فِي الْمَفَاخِرَةِ بَيْنَ السِّيفِ وَالْقَلَمِ)، وَ(قِلَانِدُ الْجَمَانِ فِي التَّعْرِيفِ بِقَبَائِلِ عَرَبِ الزَّمَانِ)، وَ(ضَوْءُ الصَّبْحِ الْمَسْفَرِ)، وَ(نَهَايَةُ الْأَرْبِ فِي مَعْرِفَةِ أَنْسَابِ الْعَرَبِ).

وَمِنْ أَفْضَلِ مَوْلاَفَاتِهِ (صَبْحُ الْأَعْشَى فِي صِنَاعَةِ الْإِنشَاءِ)، وَقَدْ كَانَ عَمَلُ الْقَلْقَشْنَدِيِّ فِي دِيْوَانِ الْإِنشَاءِ وَرَاءَ تَأْلِيفِهِ لِمَوْسُوعَتِهِ (صَبْحُ الْأَعْشَى)، وَيَتَأَلَّفُ الْكِتَابَ مِنْ مَقْدَمَةٍ طَوِيلَةٍ وَعَشْرٍ مَقَالَاتٍ. تَحَدَّثُ فِي الْمَقْدَمَةِ عَنِ مَدْلُولِ الْكِتَابَةِ وَفَضْلِهَا، وَبَيَانَ مَعْنَى الْإِنشَاءِ، وَتَفْضِيلِ النَّثْرِ عَلَى الشَّعْرِ، وَصِفَاتِ الْكِتَابِ، وَحَقِيقَةَ دِيْوَانِ الْإِنشَاءِ وَمَهَامِهِ وَقَوَانِينِهِ.

ثُمَّ تَتَنَاوَلُ فِي الْمَقَالَةِ الْأُولَى مِنَ الْمَوْسُوعَةِ صِفَاتِ كَاتِبِ الْإِنشَاءِ، وَمَعَارِفِهِ، وَالْأَدَوَاتِ الْمُتَّصِلَةَ بِصِنَاعَةِ الْكِتَابَةِ. وَأَبَانَ فِي الْمَقَالَةِ الثَّانِيَةِ الْمَعَارِفَ التَّارِيخِيَّةَ وَالْجُغْرَافِيَّةَ اللَّازِمَةَ لِكِتَابَةِ الْإِنشَاءِ. وَأَوْضَحَ فِي الْمَقَالَةِ الثَّلَاثَةِ تَقَافَةَ الْكَاتِبِ الدِّيْوَانِيَّةِ، فَعَرَضَ قَوَانِينَ دِيْوَانِ الْإِنشَاءِ، وَأَنْوَاعَ الْمَكَاتِبَاتِ الصَّادِرَةِ عَنْهُ. وَبَيَّنَ فِي الْمَقَالَةِ الرَّابِعَةَ أَصُولَ تَحْرِيرِ الْمَكَاتِبَاتِ الصَّادِرَةِ عَنِ مَلُوكِ مِصْرَ وَغَيْرِهِمْ، وَمِصْطَلَحَاتِ الْكِتَابَةِ الدِّيْوَانِيَّةِ وَالْإِخْوَانِيَّةِ. وَتَتَنَاوَلُ فِي الْمَقَامَةِ الْخَامِسَةِ الْوَلَايَاتِ، وَوِظَائِفَ الدَّوْلَةِ الْكُبْرَى، وَعَرَضَ أَمْثَلَةً مِنَ الْعُهُودِ وَالتَّقَالِيدِ وَالْمَرَامِيمِ. وَجَعَلَ الْمَقَالَةَ السَّادِسَةَ لِأَنْوَاعِ مُخْتَلِفَةٍ مِنَ الْكُتُبِ الدِّيْوَانِيَّةِ كَالْوَصَايَا، وَعُقُودِ الصَّلْحِ، وَالْأَمَانَاتِ، وَالْمَهَادَنَاتِ، وَالْمَقَامَاتِ، وَالْمَفَاخِرَاتِ، كَمَا تَحَدَّثُ فِيهَا عَنِ الْبَرِيدِ وَشُئُونِ الْمَوَاصِلَاتِ وَالِاتِّصَالَاتِ بَيْنَ مِصْرَ وَالْبِلْدَانِ الْإِسْلَامِيَّةِ. وَأُورِدَ فِي الْمَقَالَةِ السَّابِعَةَ كُتُبَ الْإِقْطَاعِ وَالْقَطَائِعِ. وَخَصَّصَ الْمَقَالَةَ الثَّامِنَةَ لِكُتُبِ الْإِيْمَانِ. وَالْمَقَالَةَ الثَّاسِعَةَ لِكُتُبِ الْأَمَانِ وَالْعُقُودِ. وَعَرَضَ فِي الْمَقَالَةِ الْعَاشِرَةَ رِسَائِلَ أُدْبِيَّةٍ مُتَبَايِنَةٍ.

(5) رياضتا الصيد والرماية في العصر المملوكي

تعد رياضة الصيد من أهم وسائل التسلية التي مارسها العرب في الجاهلية، واستمرت على مر العصور، كما كانت وسيلة من وسائل توفير احتياجاتهم من القوات، لكن سرعان ما أصبحت تلك الرياضة ركناً رئيساً للفروسية. ولرياضة الصيد فضائل كثيرة تتمثل في تهذيب الخلق، والسمو بالنفس، وتقوية البدن، قال كشاجم: "خليق بذوي العدل من الملوك الكرام، والسماحة والإكرام، والهمم العظام، الحسني السياسات، أن يكون التصيد والتقنص من جميل العادات."⁽¹¹⁾

وكانت سرحات الصيد موعدها الربيع عادة، وعندما يخرج السلطان للصيد كان بصحبته عدد كبير من الأمراء والمماليك، وكل من تدعو الحاجة إليه من أطباء وأدوية وخيام.⁽¹²⁾

وإلى جانب رياضة الصيد تطالعنا رياضة الرماية التي ازدهرت في العصر المملوكي، وقد جمعت هذه الرياضة بين التدريب على الجهاد في الحروب، والمتعة والتسلية، بالإضافة إلى الحفاظ على سلامة البدن، وقد كان الرمي بالبندق إحدى وسائل رياضة الصيد وإتقانها.

وفي العصر المملوكي صارت مصر رائدة للعالم الإسلامي بعد انتصارها على المغول الذين أسقطوا بغداد، واستولوا على الموصل والشام، ولكنهم هزموا في مصر على أيدي المماليك الذين شيدوا دولتهم القوية، وقد مارسوا الحروب والفروسية، بالإضافة إلى نشاطهم وتعليمهم الذي كان يتم بساحة الإيوان بالقلعة المعدة خصيصاً لتعليم المماليك جميع ألوان الفروسية بما تضمنه من ركوب الخيل واللعب بالرمح والإتقان والدقة في الرمي، والضرب بالسيف وسباق الخيل، والمران على المصارعة ولعب الصولجان الذي كان يتم على أيدي متخصصين.⁽¹³⁾

مما دفعهم ذلك إلى الشغف برياضتي الصيد والرماية، وشتى ألعاب الفروسية؛ ولهذا اهتم سلاطين المماليك بعمل الأحواش في مختلف أقاليم الديار المصرية، وتزويدها بالشباك والصيادين.⁽¹⁴⁾

(6) دور الأدب العربي في الحث على ممارسة رياضتي الصيد والرماية

في العصر المملوكي

رياضتا الصيد والرماية-منذ أقدم العصور- من أهم رياضات الخلفاء والملوك والأمراء والولاة والقادة؛ ولذلك عنيت مصادر الأدب العربي بالحديث عن تلك الرياضتين وبيان فضائلهما، ومن هذه المصادر (صبح الأعشى) فقد خصص القلقشندي المقالة العاشرة من مؤلفه للرسائل الأدبية المتباينة، ومنها: رسائل الصيد وهي ضرب من الرسائل الفنية تنقسم إلى: رسائل صيد عامة تصف صيد الطرائد، والطيور وقد وصفها بأنها من رسائل الملوك، ومنها أيضاً: رسائل قدمات البندق وهي رسائل تصف صيد أنواع محددة من الطيور.⁽¹⁵⁾

وقد كان المماليك، والقادة العسكريون في رحلات الصيد يصحبون معهم بعض الكتاب؛ لوصف رحلات الصيد، والتدريب الفروسي للرماة والفرسان في رسائل تنتشر بين الناس، وقد أبدع هؤلاء الكتاب في سرد فنون ومهارات هذه الرياضة في رسائلهم. كما حرص السلاطين والأمراء على اقتناء نسخا من هذه الكتب حتى يتعلموا ويفردوا بأسرار الرمي بالقوس والبندق والسهم، ويتميزوا فيه خاصة في ظل هذا العمل سواء في الحروب أو اللعب أو الصيد. مما سبق يتضح الدور الكبير الذي قام به الأدب العربي في الحث على ممارسة رياضتي الصيد والرماية في العصر المملوكي.

ومن أبرز رسائل الصيد والرماية رسائل (قدمات البندق) تلك الرسائل التي عرفها القلقشندي بأنها "رسائل تشتمل على حال الرمي بالبندق، وأحوال الرماة، وأسماء طير الواجب، واصطلاح الرماة وشروطهم."⁽¹⁶⁾

والبندق كرات تصنع من الطين أو الحجارة أو الرصاص، وهي لفظ فارسي، وتسمى أيضاً الجلاهق، وكانت توضع في الأقواس ويرمى بها لصيد الطيور، وقد نقلها العرب عن الفرس أيام الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه.⁽¹⁷⁾

أما طير الواجب أو الطير الجليل فيعتني به رماة البندق، ويفتخرون بإصابته، وصرعه، ويحتاج إليه في رسائل الصيد، وفي كتابة قدم البندق، وهو أربعة عشر طائراً، وهي على ضربين الضرب الأول: طيور الشتاء وهي عشرة: الكركي والإوز واللغخ والحبرج والتم والصوغ والعناز والعقاب والنسر والأنيسة. والضرب الثاني: طيور الصيف وهي أربعة: الكي والغرنوق والمرزم والشبيطر. (18)

(7) قدمة البندق لشمس الدين بن الصائغ إلى ابن المقر (19)

ابن الصائغ هو الشيخ أبو عبد الله شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، ولد في القاهرة عام 707هـ وقيل عام 704هـ، نشأ في القاهرة، وتميز في فنون شتى، وبرع في الفقه والعربية والأدب. عاش ابن الصائغ في ظل دولة المماليك، حيث قضى شطراً من حياته في ولاية الملك الناصر محمد بن قلاوون الثانية (698هـ-708هـ)، والثالثة (709هـ-741هـ). توفي ابن الصائغ عام 772هـ وقيل 776هـ. (20)

ومن آثار ابن الصائغ الأدبية قدمة البندق التي كتبها إلى صلاح الدين بن المقر المحيوي، وقد اشتملت هذه المقدمة على مشاهد تفصيلية برع ابن الصائغ من خلالها في إبراز أهمية رياضتي الصيد والرمية، فتحدث عن رياضة الصيد التي تقوم في حقيقتها على صيد (الوحوش والسباع وطيور الواجب كالنسور والكرابي والعقبان والغرنوق). مبينا جدوى رياضة الصيد وأثرها في النفس والبدن فقال: "فإن الصيد من أحل الأشياء وأحلاها، وأجلها وأجلاها، وأبهرها وأبهاها، وأشهرها وأشهاها، وأفخرها قيمة، وأغزرها ديمة، بورود الطير فيه إلى المناهل تنشرح الصدور، وبوقوعه في شرور الشرك يتم السرور، يحصل عند متعاطيه نشاطاً، ويزيده انبساطاً، ويشرح ناظره، ويملاً عينه قررة، وقلبه مسرة، يشجع الجبان، ويثبت الجنان."

ثم يتحدث الكاتب عن الغاية الأخلاقية لرياضتي الصيد والرمية بالبندق فقال: "تقضي رياضات النفوس السامية بمعاواة كأسه، ومصافاة ناسه، لما فيهم من الفتوة، وكمال المروة، وصدق اللسان، وثبات الجنان، وطيب الأخلاق، وحفظ الميثاق".

وقد حدد ابن الصائغ في قدمته أنواع الطيور التي كانوا يتصيدونها، وجعل لكل طائر وصفا خاصا؛ حتى تكتمل صورة الصيد بالبندق ومن ذلك قوله: "ولا تبتهج نفوسهم النفيسة إلا بإوزة، يزدري دلالتها بالكاعب المعتزة، ولا يطرب أسمعهم غير لغات اللغلة، حين تمتد كأنها مدامة في الزجاجة مفرغة، ولا يؤنسهم إلا الأنيسة الأنيسة، والدرة النفيسة، ولا يذهب حرجهم غير الحبرج الصادح، المستوقف بحسنه كل غاد ورائح، تكاد قلوبهم تطير بالفرح عند رؤية النسر الطائر، وتجبر خواطرهم بكسر ذلك الكاسر، إذا عاينوا عقباناً أعقبهم الفرحة، ونزح عنهم الترح، وإن كر كركي فر عنهم البوس، ورأوا على رأسه ذلك التاج الذي لم يعل مثله على الرؤوس، وإن عرض غرنوق غرقوا في بحار أفكارهم، وجدوا إلى أن يقع بمجدول أوتارهم، وإن لاح ضوع كالذهب المصوغ، ألقوه في الحبال وهو بدمه مصبوغ".

وينقل الكاتب بعد ذلك للحديث عن قسي البندق، وكراتها، وشدتها، وإتقان صنعتها فيقول: "وجعلوا كل آلة صنيعة، وربة جمال منيعة، وبعيدة الرمي بديعة، من كل قوس هي في العين كالحاجب، أو النون التي أجادها الكاتب، تدور الطائر عند الرمي وتذيبه، وتئن أنينا أولى به من تصيبه، وبندق جبلت طينته على صوب الصواب، يستنزل الطير ولو استتر بذيل السحاب، كأنه النجم الثاقب، والشهاب الصائب، يرى الطير كالسحاب الواكف، فينقض عليه انقضاض البرق الخاطف".

وعن مكانة رياضة الرمي بالبندق عند الملوك وأبنائهم يقول ابن الصائغ: "ولما كان بهذه المنزلة العظيمة، والمرتبة الجسيمة، تعاطته الملوك وأبناء الملوك، ونظموا عقده بحسن السلوك، وارتاضت به النفوس الطاهرة، واعتاضت به عن الكؤوس الدائرة، ورأت به تكميل الأدوات، وسامت به فعل الواجب".

ثم يتحدث الكاتب عن موكب الوزير في رحلته إلى الصيد، وما أعد لتلك الرحلة من أدوات فيقول: "وعمد إلى تحصيل آلاته، سائراً كالبدري في هالاته، فسار مع سرايا كالنجوم، يتفاكهون في الحديث بالمنثور والمنظوم، ويخلطون جد القول بهزله، كلما خلط لهم ظل الجود بوبله، وانحدروا في النيل يجمعهم الصحيح، وقصدوا المرامي العالية، ولم يقنعوا من الأيام بالريح، وظلوا يسرون في تلك المراكب، التي كأنها قطع السحائب. هذا وهم يتشوقون إلى المصايد، ويشرفون إلى الشوارد، فيطلعون أحياناً إلى البر متفرجين، ويطيب ذلك النسيم متأرجين... ويجتتون من الغصن الزاهي قداً، ويجتلون من الورد الزاهر خداً، ويتأملون ضحك الأرض من بكاء السماء، وشماخة القضب عند خريز الماء، لاتذوق أجفانهم طعم الكرى، ولا يميلون عن السير ولا يملون السرى، مامنهم إلا من إذا رأى الطير جائشاً، عاد من وقته جائشاً، بينما هم يسرون متفرقين، حتى إذا لاح لهم طير تداعوا إليه غير مقصرين والتفوا محلقين، ولم يزالوا كذلك ينهمون العيش بالدعة والطيش، حتى إذا أقبل اليوم المبارك الثامن والعشرون من جمادي الآخرة سنة تسع وثلاثين وسبعمئة، وهو اليوم الذي عزم فيه الجنب الصلاحي على الاصطياد بالبندق الحداد."

(8) قدمة ابن الصائغ دراسة تحليلية

أولاً: بنية القدمة

مما جرت عليه كتابة قدمات البندق هي ورودها في ثلاثة أجزاء متكاملة: المقدمة، والموضوع، والخاتمة. وقد استحوذت هذه الأجزاء على اهتمام العديد من مصادر الأدب العربي ومن بينها (صبح الأعشى) الذي حرص فيه مؤلفه على الحديث عن كل ما يجب أن يلم به الكاتب من أسس وأدوات للمكاتبات. وقد فصل القلقشندي القول في عناصر مقدمة المكاتبات باعتبارها استهلالاً للكلام وهي: البسمة" فيجب تقديمها في أول الكلام المقصود، من مكاتبة أو ولاية أو منشور أو إقطاع أو غير ذلك، تبركاً بالابتداء بها، وتيمناً بذكرها." (21)

ويلى البسملة العنوان وهو " يدل على الكتاب ممن هو وإلى من هو" (22) ومن عناصر المقدمة أيضا الحمدلة وهي حمد الله والإقرار بوجدانيته، وقد اصطلح الكتاب على الابتداء بها في الكثير مما يكتبونه من المكاتبات. كما جرت عادة المتأخرين بالإتيان بالتشهد بعد التحميد مباشرة، ثم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عملاً بقوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا" (23) فناسب أن تكون الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في أوائل الكتب؛ تيمناً وتبركاً. (24)

وبعد المقدمة ينتقل الكاتب إلى الموضوع الرئيسي باستخدام صيغة التخلص أما بعد (25) أما فيما يخص الخاتمة وهي إنهاء المكاتبة بما يراه كاتبها ملائماً لموضوعها فقد تخدمت المكاتبة بجملة المشيئة رغبة في نجاح مقصد الكاتب أو بآية قرآنية أو بأبيات شعرية، أو بالدعاء للمكاتب، أو بالحمدلة، أو بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ... إلى غير ذلك من خواتيم.

كانت هذه هي البنية الأساسية التي تقوم عليها المكاتبات، مع احتفاظ بعض الكتاب لأنفسهم بالحرية؛ للتحرك ضمن إطار هذا الهيكل بالتقديم أو بالتأخير أو الإسقاط وفقاً لنوع المكاتبات وموضوعاتها، وطبيعة العلاقة بين طرفي الاتصال.

وإذا تأملنا قدمة ابن الصائغ يتضح التزام الكاتب بالبنية الأساسية للمكاتبات، فقد بدأها بمقدمة اشتملت على عناصرها باستثناء البسملة والعنوان فقد أسقطهما الكاتب وبدأ بالتحميد ثم التشهد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: " الحمد لله الذي سدد لصلاح الدين سهام الواجب وشيد بنجاح المطلوب مرام الطالب، وجعل حصول الرزق الشارد بالسعي في المناكب، وسهل الممتع على القاصدين فما منهم إلا من رجع وهو صائب. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ولد ولا صاحب، شهادة تزجر طير الإشراك بهذه الأشرار من كل جانب، وأشهد أن مجمدا عبده ورسوله الذي قربه فكان قاب قوسين أو أدنى وهذه أعلى المراتب، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين رقوا في العلى لمراق لم يسم إليها طير مراقب،

صلاة يسبق بها المصلي إلى بقاع شرف يشرق سنه في المشارق والمغرب، ويرجع طائراً بالسرور ولا رجوع الطائر الشارد إلى المشارب.⁽²⁶⁾

وربما يكمن السبب وراء إسقاط الكاتب للبسملة من المقدمة إلى الحرية التي احتفظ بها كتاب ذلك العصر لأنفسهم؛ للتحرك ضمن إطار البنية الأساسية للمكاتبة، بالإضافة إلى أن "الكتاب كانوا يلتزمون بالبسملة في صدور الكتب، ثم ترك ذلك."⁽²⁷⁾ وإن كان الكاتب قد أسقط من مقدمة القدمة العنوان (المرسل والمرسل إليه) إلا أنه أشار إلى المرسل إليه بعد التحميد وفي متن النص فقال: "الحمد لله الذي سدد لصالح الدين سهام الواجب..."، وقال أيضاً: "فلذلك قصد الجناح الكريم العالي الصلاحي صلاح الدنيا والدين، ونجاح الطالبين، سليل الوزراء، ونجل الكبراء، وصدر الرؤساء، وعين العظماء ابن المقر المحيوي بن فضل الله أدام الله تعالى علاه...". كما أن القلقشندي نص في تعليق له قبل القدمة على المرسل والمرسل إليه فقال: "هذه نسخة قدمة كتب بها شيخنا الشيخ شمس الدين محمد بن الصائغ الحنفي الأديب رحمه الله لصالح الدين بن المقر المحيوي بن فضل الله."⁽²⁸⁾

وللانتقال من المقدمة إلى موضوع القدمة استخدم الكاتب صيغة التخلص "بعد" ثم بدأ بالحديث عن موضوع القدم وهو (رياضة الصيد والرمية)، ومن ثم وظف الكاتب الألفاظ والجمل والأساليب الخاصة المتعلقة بالموضوع، والتي من شأنها إبراز أهمية تلك الرياضتين بهدف الحث على ممارستها فقال: "وبعد، فإن الصيد من أحل الأشياء وأحلاها، وأجلها وأجلاها، وأبهرها وأبهاها، وأشهرها وأشهاها، وأفخرها قيمة، وأغزرها ديمة، بورود الطير فيه إلى المناهل تنشرح الصدور، وبوقوعه في شرور الشرك يتم السرور، يحصل عند متعاطيه نشاطاً، ويزيده انبساطاً، ويشرح خاطره، ويسرح ناظره، ويملاً عينه قرّة، وقلبه مسرة، يشجع الجبان، ويثبت الجنان... وجعلوا كل آلة صنيعة، وربة جمال منيعة، وبعيدة الرمي بدیعة، من كل قوس هي في العين كالحاجب، أو النون التي أجادها الكاتب، تدور

الطائر عند الرمي وتذيه، وتثن أننا أولى به من تصيبه، وبندق جبلت طينته على صوب الصواب، يستنزل الطير ولو استتر بذيل السحاب." (29)

وقد أولى ابن الصائغ اهتماماً كبيراً بالخاتمة إذ ختم قدمته بالدعاء للمكاتب؛ لعنايته بتلك الرياضتين، وحثه على ممارستها فقال: "زاده الله نعماً، وأحرى له في الندى يداً، وثبت له في العلى قدماً، بمنه وكرمه." (30)

ثانياً: التضمين والنظم

الكاتب في كتاباته يركز على مخزون ثقافي تكون عبر تأثره بنصوص متباينة، وحفظه لتلك النصوص، ويتضح هذا التأثير في توظيف الكاتب للتضمين في تجربته الإبداعية توظيفا فنياً؛ لإكسابها قوة ومرجعية.

ويندرج التضمين تحت علم البديع ويعرفه النويري في قوله: "وأما حسن التضمين فهو أن يضمن المتكلم كلامه كلمة من آية أو حديث أو مثل سائر أو بيت من الشعر." (31) كما عرفه ابن الأثير في قوله: "أن يضمن الشاعر شعره والناثر نثره كلاماً آخر لغيره قصد الاستعانة على تأكيد المعنى المقصود." (32)

ومن ألوان التضمين (التضمين بالشعر)، وقد ذكر الفلقشندي صور التضمين بالشعر في المكاتبات فقال: "بل ربما كانت المكاتب أو جملها شعراً، وقد يكون صدر المكاتب شعراً وذيلها نثراً وبالعكس، وقد يكون طرفها نثراً وأوسطها شعراً أو عكس ذلك بحسب ما يقتضيه الترتيب ويسوق إليه التركيب." (33)

ويبدو التضمين بالشعر جلياً في قدمة ابن الصائغ، وقد ورد في صورة التمثيل بأشعار الشعراء دون نسبتها إلى ناظميها؛ لافتراض الثقافة الشعرية لدى الكافة في عصره، فقال في معرض حديثه عن الشغف بممارسة رياضة الصيد بالقنص: (34)

ومن ذا الذي ينكر لذة الاصطياد، والطرب بالقنص على الإطراد، والله در القائل:

لولا طراد الصيد لم تك لذة فتطاردي لي بالوصال قليلاً
هذا الشراب أخو الحياة وماله من لذة حتى يصيب عليلاً

وتمثل الكاتب بالشعر أيضا في طيات حديثه عن جدوى رياضة الصيد، وأثرها في النفس والبدن فقال: (35) "ياحسنه من فعل اعتلت بالنسيم موارده ومصادره، وفاقت أوائله في اللذاذة أواخره؛ والله القائل:

إنما الصيد همة ونشاط يعقب الجسم صحة وصلاحا

ورجاء ينال فيه سرور حين يلقي إصابة ونجاحا

كما ورد التضمن بالشعر في حديث الكاتب عن مشاهد رحلة الصيد الخلابة فقال: (36) "هذا وهم يتشوفون إلى المصايد، ويشرفون إلى الشوارد، فيطلعون أحيانا إلى البر متفرجين، وبطيب ذلك النسيم متأرجين:

نسيم قد سرى فيهم بنشر فأذكرهم بمسراه السريا

كرامته استقرت حين وافى له نفس يعيد الميت حيا

وقد وفق ابن الصائغ في اختيار الأبيات الشعرية التي تعكس أهمية رياضة الصيد والرماية، كما أنه نجح في تخصيص موضعها من القدمة مما يدل على استيعاب الكاتب للقوائد الشعرية آنذاك، وإدراكه موطن المعنى الذي يرغب في دعمه بما يلائمه من أبيات شعرية حتى يمكن لأفكاره في نفوس المتلقين، ويحثهم على ممارسة الرياضتين لما لهما من آثار إيجابية بدنية ونفسية.

وإلى جانب التضمن بالشعر نظم ابن الصائغ بذاته أبياتا شعرية؛ للتأكيد على أهمية رياضتي الصيد والرماية، والتحفيز على ممارستها من خلال إبراز ديناميكية مهارات الصيد بالرمي ومحلّه وأدواته، وابتكار حيل جديدة؛ للإيقاع بالفريسة فقال: (37) "وقد نظمت خمسا (38) مشتملا على ذكر طيور الواجب، وطرزته باسمه؛ لأن هذه القدمة قد قدمت له وجعلت برسمه، غير أنني أعتذر عنها، لعدم مادة عندي أستمد منها:

جل كؤوسا عطلت بالراح ولا تطع فيها كلام لاجي

واشرب هنيئا واسقني يا صاح واذكر زمانا مر بالأفراح

* هبت به فيما مضى رياحي *

أيام كنت أصحاب الأكابرا وأغتدي مع الرماة سائرا
ولا أزال بالغيار غائرا إذا رأيت في المياه طائرا
نحوته من سائر النواحي
فتارة كنت أصيد النسرا وبعده العقاب يحكي الجمرا
والكي والكركي صدت جهرا وصدت غرنوقا وعنزا قهرا
وكنت بالإوز في انشراح
وتارة تما كبد التم تتبعه أنيسة كالنجم
ولغغ أسود مسك الهم وجرج عن الرماة محمي
والضوع مع سبيطر سياح
وكم وكم قد صدت يوما مرزما أنزلته بالقوس من جو السما
جناحه يحكي طرازا معلما على بياض شية شبه الدما
كأنه ليل على صباح

ثالثا: السجع (الإيقاع)

السجع لغة: هو الكلام المقفى، وسجع يسجع سجعا: تكلم بكلام له فواصل
كفواصل الشعر من غير وزن. (39)

والسجع في الاصطلاح: هو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير منهما، على
أن يكون المقصود بالفاصلة هنا الكلمة الأخيرة من الجملة أو العبارة التي تجعل كل
منهما بإزاء الأخرى، وأفضل السجع ما تساوت فقره. (40)

وقد حفلت قدمه ابن الصائغ بالسجع بوصفه وسيلة من الوسائل الفنية التي
تعين الكاتب على جذب انتباه المتلقين، والاستحواذ على نفوسهم عبر ما يحدثه هذا
السجع من موسيقى مؤثرة كما في قوله: "فإن الصيد من أحل الأشياء وأحلاها،
وأجلها وأجلاها، وأبهرها وأبهاها، وأشهرها وأشهاها، وأفخرها قيمة، وأغزرها
ديمة، بورود الطير فيه إلى المناهل تنشرح الصدور، وبوقوعه في شرور الشرك يتم

السرور، يحصل عند متعاطيه نشاطاً، ويزيده انبساطاً، ويشرح خاطره، ويسرح ناظره، ويملاً عينه قرّة، وقلبه مسرة، وشجع الجبان، ويثبت الجنان "فوقع السجع بين (أحلاها وأجلاها وأبهاها وأشهاها)، (قيمة وديمة)، (الصدر والسرور)، (نشاطاً وانبساطاً)، (خاطره وناظره)، (قرّة ومسرة)، (الجبان والجنان). وقد بدا السجع هنا من المقومات الأساسية في القدمة المتصلة بالموضوع اتصالاً وثيقاً، وورد ليين جدوى رياضة الصيد وأثرها في النفس والبدن؛ ولذلك وردت الفواصل سريعة قصيرة، والإيقاع سريع قصير وهو أمر مقصود؛ فكما قلت الألفاظ في الجمل المسجوعة" كان أحسن لقرب الفواصل أو الفقرات المسجوعة من سمع السامع." (41)

كما تحقق الإيقاع عبر الأسجاع في قول ابن الصائغ أيضاً: "من كل قوس هي في العين كالحاجب، أو النون التي أجادها الكاتب، تدور الطائر عند الرمي وتذيه، وتثن أننا أولى به من تصيبه. وبندق جبلت طينته على صوب الصواب، يستنزل الطير ولو استتر بذيل السحاب، كأنه النجم الثاقب، والشهاب الصائب، يرى الطير كالسحاب الواكف، فينقض عليه انقضاض الربق الخاطف، ويرجع النسر من حنقه راتعا، ويغدو بعد أن كان طائراً واقعا."

فوقع السجع بين (الحاجب والكاتب)، (تذيه وتصيبه)، (الصواب والسحاب والثاقب والصائب)، (الواكف والخاطف)، (راتعا وواقعا). وقد اعتمد الكاتب على هذه الجمل المسجوعة؛ لإبراز قوة قسي البندق وكراتها وإتقان صنعتها.

وللسجع في تلك القدمة وظيفة فنية تكمن في تثبيت المعنى في قلب المتلقي، وتأكيد في ذهنه بهدف تشجيعه على ممارسة الرياضة، والدليل على ذلك أن ذاكرة المتلقي أو قوته النفسية الحافظة تستبقي الكلام المسجوع الملتصق بالمعنى، وتحفظه فترة غير قصيرة من الزمن وتؤثر فيه. (42)

رابعاً: التصوير البياني

الصورة في النثر هي الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الكاتب في سياق بياني خاص؛ ليعبر عن جوانب التجربة الفكرية في النص، وكلما اتحدت الصورة الفنية مع السياق الذي وردت فيه انبعثت طاقات فنية تحدث أثرها في نفس المتلقي.

وتعد الصورة من أهم الوسائل الفنية التي لجأ إليها ابن الصائغ في قدمته، أعانه على ذلك قدرته على تطويع اللغة لبناء وصف يجذب المتلقي لما يطرحه من معان وأفكار.

ومن الصور البيانية في قدمة ابن الصائغ الاستعارة، وتعني في اللغة: رفع الشيء وتحويله من مكان إلى آخر. (43) أما اصطلاحاً فهي "نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض، وذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه، أو تأكيده والمبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ." (1)

ويبدو هذا الضرب من الصور البيانية في قول ابن الصائغ: "تكاد قلوبهم تطير بالفرح عند رؤية النسر الطائر." شبه الكاتب في العبارة السابقة قلوب الرماة بالطائر وحذف المشبه به (الطائر) ورمز له بشيء من لوازمه (تطير) على سبيل الاستعارة المكنية، فقلوبهم تكاد تطير من فرحتها؛ لرؤية النسر الكاسر الذي يتشوقون إلى اصياده؛ لأن ذلك مدعاة للفخر.

ولنتأمل صورة استعارية أخرى في قول ابن الصائغ: "وبندق جبلت طينته على صوب الصواب، يستنزل الطير ولو استتر بذيل السحاب" شبه الكاتب هنا البندق بالقائد وحذف المشبه به وأتى بقرينة تدل عليه هي كلمة (تستنزل) على جهة الاستعارة المكنية، فالبندق يقهر جوارح الطيور، ويأسرها في جوها لا يعصمها منه طير ولا مطار.

وقد وردت الاستعارة أيضا في قوله: "وإن كر كركي فر عنهم البؤس" حيث شبه البؤس بالكائن الحي وحذف المشبه به وأتى بشيء من لوازمه (فر) على سبيل الاستعارة المكنية، وتعكس الاستعارة هنا شدة فرح الرماة بالفرصة التي أتاحت لهم مرة أخرى لاصطياد طائر الكركي الجارح، تلك الفرصة التي كانت سببا في فرار البؤس عنهم.

وللصور الاستعارية السابقة قيمة فنية تكمن في أنها أضفت على الأداء "طاقة خاصة هي قوة الإقناع الفني من جهة نظام التأليف في هذا التصوير؛ حيث يتم تناسي التشبيه بحذف أحد طرفيه الذي انطلق منه هذا النظام الذي يدفع المتلقي إلى بذل الجهد الذهني في إدراك سره غير المألوف له، الخفي المستور عنه." (44) فتعلق في النفس، ويدوم بقاءها في الذاكرة.

ويطالعنا ضرب آخر من الصور الفنية وهو التشبيه، والتشبيه لغة: التمثيل، وهو مصدر مشتق من الفعل (شبه) بتضعيف الباء، ويقال: شبهت هذا بهذا تشبيها أي مثلته به. (45)

ويبدو التشبيه في قول ابن الصائغ: "وإن لاح ضوع كالذهب المصوغ، ألقوه في الحبال وهو بدمه مصبوغ" شبه الكاتب طائر الضوع الجارح بالحلي الذهبية في البريق والجمال، والغرض من التشبيه هنا تقرير سمات المشبه بتوضيحه في ذهن المتلقي وتمكينه من نفسه، وقد تحقق ذلك بإبراز المشبه في صورة أقوى وأظهر عندما شبهه الكاتب بالذهب المصوغ.

ولنتأمل صورة تشبيهية أخرى في قوله: "وإن مر مرزم كالخودة الحساء، ضربوا له الآلة الحدباء" شبه الكاتب في العبارة السابقة طائر المرزم الجارح بالفتاة الناعمة الشابة الحساء من حيث الأثر الذي يحدثه كل منهما حال ظهوره، ويهدف الكاتب من هذا التشبيه إلى إقرار سمة الحسن في المشبه، والتأكيد عليها عبر عقد مقارنة بينه ومثبه به يستحسنه المتلقي.

وفي حديث الكاتب عن البندق نجد الصورة التشبيهية في قوله: "وبندق جبلت طينته على صوب الصواب، يستنزل الطير ولو استتر بذيل السحاب، كأنه النجم الثاقب" شبه الكاتب كرات البندق وما تحدثه من أثر في فريستها من الطيور الجارحة بالنجم الثاقب وما يحدثه من أثر في السماوات والأرض، فنوره يخرق السماوات فينفذ حتى يرى في الأرض.

وتكمن بلاغة الصور التشبيهية في قدمة ابن الصائغ في قدرته على توظيف الإمكانيات اللغوية في وصف رياضي الصيد والرماية وأدواتهما، ووصف طيور الواجب عبر انتقال الكاتب بالمتلقي من الموصوف إلى ما يشبهه فيحدث بذلك أثراً في متلقي النص.

الخاتمة:

تبين من الدراسة النتائج الآتية:

1- رياضتا الصيد والرماية من أهم رياضات السلاطين والملوك والخلفاء والأمراء؛ لذلك عنيت المصادر الأدبية بالحديث عن تلك الرياضتين، وبيان فضائلهما، ومن هذه المصادر (صبح الأعشى)، فقد خصص القلقشندي المقالة العاشرة من مؤلفه للرسائل الأدبية ومن بينها: رسائل الصيد، وقدمات البندق.

2- للأدب العربي دور في الحث على ممارسة الرياضة في العصر المملوكي، فقد أمدنا بالعديد من الرسائل التي تناولت بعض أنواع الرياضات في هذا العصر، ومنها: قدمة ابن الصائغ التي سلط الضوء فيها على أهم رياضتين في العصر المملوكي وهما: رياضة الصيد، ورياضة الرماية، وحث على ممارستها، وهذا لما تنادي به النظم المعاصرة، ويحرص الدستور المصري على جعل حق ممارسة الرياضة للجميع، ومن ثم كان الأدب العربي اللبنة التي شيدت عليها الأنظمة المعاصرة حضاراتها.

- 3- حرص المماليك على اصطحاب بعض الكتاب في رحلات الصيد، والتدريب الفروسي للرماة والفرسان؛ لوصف تلك الرحلات في رسائل تنشر بين الناس، وقد أبدع هؤلاء الكتاب في سرد فنون ومهارات هذه الرياضة في رسائلهم.
- 4- جمعت رياضتا الصيد والرمية في العصر المملوكي بين التدريب على الحروب والمتعة والتسلية، بالإضافة إلى الحفاظ على السلامة البدنية والنفسية.
- 5- اشتملت قدمة ابن الصائغ على مشاهد تفصيلية برع كاتبها من خلالها في إبراز أهمية رياضتي الصيد والرمية، فتحدث عن (جدوى رياضة الصيد، وأثرها في النفس والبدن - الغاية الأخلاقية لرياضتي الصيد والرمية - أنواع الطيور التي كانوا يتصيدونها - قسي البندق وكراتها وشدتها وإتقان صنعها - مكانة رياضة الرمي بالبندق عند الملوك وأبنائهم - موكب رحلة الصيد).
- 6- التزم ابن الصائغ في قدمته بالبنية الأساسية للمكاتبات، فقد استهلها بمقدمة اشتملت على عناصرها باستثناء البسمة والعنوان؛ وربما رجع ذلك إلى الحرية التي احتفظ بها كتاب ذلك العصر لأنفسهم للتحرك ضمن إطار البنية الأساسية للمكاتبة، وللانتقال إلى موضوع القدمة استخدم الكاتب صيغة التخلص (بعد)، وقد ختم قدمته بالدعاء للمكاتب لعنايته بتلك الرياضتين، وحثه على ممارستها.
- 7- ارتكز ابن الصائغ في القدمة على مخزون ثقافي تكون عبر تأثره بنصوص متباينة، وحفظه لتلك النصوص، ويبدو هذا التأثير في توظيفه للتضمين في تجربته الإبداعية توظيفاً فنياً؛ لإكسابها قوة ومرجعية. فضمن قدمته شعراً دون نسبته إلى ناظميه؛ لافتراض الثقافة الشعرية لدى الكافة في عصره. وقد نجح ابن الصائغ في اختيار الأبيات الشعرية التي تعكس أهمية رياضة الصيد، ورياضة الرماية، كما أنه نجح في تخصيص موضعها من القدمة مما يدل على استيعابه للقوائد الشعرية آنذاك، وإدراكه موطن المعنى الذي يرغب في دعمه بما يلائمه من أبيات شعرية؛ حتى يمكن لأفكاره في نفوس المتلقين.

- 8- نظم ابن الصائغ بذاته أبياتاً شعرية إلى جانب التضمين؛ للتأكيد على أهمية رياضتي الصيد والرماية، والتحفيز على ممارستها من خلال إبراز ديناميكية مهارات الصيد بالرمي ومحلّه وأدواته، وابتكار حيل جديدة للإيقاع بالفريسة.
- 9- حفلت قدمة ابن الصائغ بالسجع بوصفه وسيلة من الوسائل الفنية التي تعين الكاتب على جذب انتباه المتلقين، والاستحواذ على نفوسهم، وتثبيت المعنى في أذهانهم؛ بغية تحفيزهم على ممارسة الرياضة.
- 10- بدا ابن الصائغ في خطبته مصوراً، فقد تولى تصوير أفكاره ومعانيه معتمداً على ضربين من الفنون البيانية هما: الاستعارة، والتشبيه. وقد أضفت الاستعارة على الأداء طاقة خاصة تكمن في قوة التأثير الفني، حيث يتم تناسي التشبيه بحذف أحد طرفيه فتعلق الفكرة في النفس ويدوم بقاؤها في الذاكرة. أما الصور التشبيهية فتكمن بلاغتها في قدرة الكاتب على توظيف الإمكانات اللغوية في وصف رياضتي الصيد والرماية وأدواتهما، ووصف طيور الواجب عبر انتقال الكاتب بالمتلقي من الموصوف إلى ما يشبهه فيحدث بذلك أثراً في متلقي النص.

هوامش البحث:

- لسان العرب، ابن منظور، دار الحديث، القاهرة. معجم اللغة العربية المعاصرة، د/ أحمد مختار عمر، عالم الكتب، (1)
- القاهرة، م1، ط1، 1429هـ - 2008م، ص 960-959.
- (2) عقود تنظيم المسابقات الرياضية والمسؤولية الناجمة عنها، د/ محمد سليمان الأحمد، دار وائل للنشر، 2004م،
- ص33. وانظر: الألعاب الرياضية أحكامها ضوابطها دراسة فقهية تأصيلية مقارنة، خالد سعدنكو، دار النوادر
- ص 61.
- (3) انظر: الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع، مختار سالم، مؤسسة المعارف، بيروت، 1408هـ- 1988م،
- ص 174.
- (4) أصول التربية البدنية والرياضية، أمين الخولي، دار الفكر العربي، 1421هـ- 2001م، ط3، ص131.
- وانظر: الألعاب الرياضية أحكامها ضوابطها، خالد سعدنكو، ص 63: ص 68.

- 5) انظر: التاريخ الرياضي ودوره السلمي عبر العصور، د/ عبد النور العمري، جامعة يحي فاري المدينة، ص72.
- 6) انظر: المرجع السابق، ص72.
- 7) سورة القصص، آية 26.
- 8) الدستور المصري لسنة 2014م، مادة 84.
- 9) انظر: الدستور المصري لسنة 2014م، المواد 81-82-83.
- 10) انظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، م1، ص177. وانظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار الجيل، بيروت، ج2، ص8. وانظر: رواد علم الجغرافيا في الحضارة العربية والإسلامية، د/ علي بن عبد الله الدفاع، مكتبة الثرية، ص219، ص222. وانظر: صبح الأعشى، أبو عباس أحمد القلقشندي، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1338هـ-1919م، المقدمة.
- 11) الصقر والصيد عند العرب، كشاجم أبو الفتاح محمود بن الحسن، دراسة وتحقيق محمد عيسى صالحبة، مكتبة شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، الكويت، ط1، 1985م، ص35.
- 12) الظاهر ببيرس، د/ سعيد عبد الفتاح عاشور، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مطبعة مصر، ص192.
- 13) انظر: المماليك، د/ السيد الباز العريني، كلية الآداب، جامعة القاهرة، دار النهضة العربية، بيروت، ص98 وما بعدها.
- 14) انظر: المجتمع المصري في عهد سلاطين المماليك، د/ سعيد عبد الفتاح عاشور، دار النهضة العربية، القاهرة، ص80.
- 15) صبح الأعشى، القلقشندي، ج14، ص165، ص282.
- 16) المصدر السابق، ص282.
- 17) انظر: التعريف بالمصطلح الشريف، ابن فضل الله العمري، دراسة وتحقيق، دراسة وتحقيق د/ سمير الدروبي، منشورات جامعة مؤتة، 1413هـ-1992م، ص304، 305. وانظر: تاريخ التمدن الإسلامي، جرجي زيدان، مؤسسة هنداوي، ج5، ص184.
- 18) انظر: صبح الأعشى، ج2، ص62: 67.
- 19) صبح الأعشى، ص282: 288.
- 20) انظر: أبو عبد الله شمس الدين بن الصائغ (حياته وآثاره ومنهجه)، حولية كلية اللغة العربية بالقازيق، جامعة الأزهر، مساعد بن محمد بن عبد الله الغفيلي، م2، ع33، 2013م، ص1646، ص1647.

- 21) صبح الأعشى، ج6، ص 222. وانظر: أدب الكتاب، أبو بكر الصولي، تصحيح وتعليق محمد بهجة الأثري، المطبعة السلفية، القاهرة، ص 32.
- 22) إحكام صناعة الكلام، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الثقافة، بيروت، ط1، ص52.
- 23) سورة الأحزاب آية 56.
- 24) صبح الأعشى، ج6، ص 224، 226، 227.
- 25) أدب المغربي والأندلسي بين التأسيس والتأصيل والتجديد، الربيعي بن سلامة، ص 168. وانظر: صبح الأعشى، ج6، ص231.
- 26) صبح الأعشى، ج14، ص282.
- 27) أدب الكتاب، أبو بكر الصولي، ص 144.
- 28) انظر: صبح الأعشى، ج14، ص 285-282.
- 29) المصدر السابق، ص 282، 284.
- 30) لمصدر السابق، ص 288.
- 31) نهاية الأرب، النويري، القاهرة، ج7، ص 126.
- 32) المثل السائر، ابن الأثير، القاهرة، ج3، ص201.
- 33) صبح الأعشى، ج1، ص323.
- 34) مصدر السابق، ص 283.
- 35) المصدر السابق، ص283.
- 36) مصدر السابق، ص285، 286.
- 37) لمصدر السابق، ص286، 288.
- 38) خمس الشعر أي جعل كل قطعة منه خمسة شطور.
- 39) لسان العرب، ابن منظور، دار الحديث، القاهرة، 2003م، مادة سجع،
- 40) نظر: جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، تدقيق حسن نجار محمد، مكتبة الآداب، القاهرة، 1426هـ-2005م، ص 325. وانظر أيضاً: البديع المصطلح والقيمة، د/ عبد الواحد أحمد علام، دار الكتاب الجامعي، الكويت، ط2، يوليو، 1996م، ص125.
- 41) علم البديع، د/ عبد العزيز عتيق، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 1417هـ-1998م، ص 172
- 42) انظر: الخطاب النفسي في النقد العربي القديم، د/ حسن البنداري، مكتبة الآداب، ط2، 2001م، ص 170
- 43) سان العرب، ابن منظور.
- 44) لصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط2، ص274
- 45) الفنون البيانية والبديعية بين النظرية والتطبيق، د/ حسن البداري، مكتبة الآداب، ط 2، 2003م، ص 186.

المصادر والمراجع:

- إحكام صنعة الكلام، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الثقافة، بيروت.
- أدب الكتاب، أبو بكر الصولي، تصحيح وتعليق محمد بهجة الأثري، المطبعة السلفية، القاهرة.
- الأدب المغربي والأندلسي بين التأسيس والتأصيل والتجديد، الربيعي بن سلامة.
- أصول التربية البدنية والرياضية، أمين الخولي، دار الفكر العربي، 1421هـ-.
- 2001م، ط3.
- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت.
- الألعاب الرياضية أحكامها ضوابطها دراسة فقهية تأصيلية مقارنة، خالد سعدنكو، دار النوادر.
- البديع المصطلح والقيمة، د/ عبد الواحد أحمد علام، دار الكتاب الجامعي، الكويت، ط2، يوليو، بيروت، 1996م.
- تاريخ التمدن الإسلامي، جرجي زيدان، مؤسسة هنداوي.
- التاريخ الرياضي ودوره السلمي عبر العصور، د/ عبد النور العمري، جامعة يحيى فارى المدينة.
- التعريف بالمصطلح الشريف، ابن فضل الله العمري، دراسة وتحقيق، دراسة وتحقيق د/ سمير الدروبي، منشورات جامعة مؤتة، 1413هـ-1992م.
- جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، تدقيق حسن نجار محمد، مكتبة الآداب، القاهرة، 1426هـ-2005م.
- الخطاب النفسي في النقد العربي القديم، د/ حسن البنداري، مكتبة الآداب، ط2،

2001م.

– الدستور المصري لسنة 2014م.

– رواد علم الجغرافيا في الحضارة العربية والإسلامية، د/ علي بن عبد الله
الدفاع، مكتبة الثرية.

– صبح الأعشى، أبو عباس أحمد القلقشندي، المطبعة الأميرية، القاهرة،
1338هـ–

1919م.

– الصقر والصيد عند العرب، كشاجم أبو الفتح محمود بن الحسن، دراسة وتحقيق
محمد عيسى صالحبة، مكتبة شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، الكويت،
ط1،

1985م.

– الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل
إبراهيم، دار الفكر العربي، ط2.

– الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي،
دار الجيل، بيروت.

– الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع، مختار سالم، مؤسسة المعارف، بيروت،
1988م.

– الظاهر ببيرس، د/ سعيد عبد الفتاح عاشور، وزارة الثقافة والإرشاد القومي،
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مطبعة مصر.

– أبو عبد الله شمس الدين بن الصائغ (حياته وآثاره ومنهجه)، حولية كلية اللغة
العربية بالزقازيق جامعة الأزهر، مساعد بن محمد بن عبد الله الغفيلي، 2013م.

– عقود تنظيم المسابقات الرياضية والمسؤولية الناجمة عنها، د/ محمد سليمان
الأحمد، دار وائل للنشر، 2004م.

- علم البديع، د/ عبد العزيز عتيق، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1،
1417هـ—
1998م.
— الفنون البيانية والبديعية بين النظرية والتطبيق، د/ حسن البداري، مكتبة الآداب،
ط2، 2002م.
— لسان العرب، ابن منظور، دار الحديث، القاهرة.
— المثل السائر، ابن الأثير، القاهرة.
— المجتمع المصري في عهد سلاطين المماليك، د/ سعيد عبد الفتاح عاشور، دار
النهضة العربية، القاهرة.
— معجم اللغة العربية المعاصرة، د/ أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة،
م1، ط1، 1429هـ - 2008م.
— المماليك، د/ السيد الباز العريني، كلية الآداب، جامعة القاهرة، دار النهضة
العربية، بيروت.
— نهاية الأرب، النويري، القاهرة.

Sources and references:

- The rules of the art of speech, edited by Muhammad Radwan Al-Daya, House of Culture, Beirut.
- Literature of the Book, Abu Bakr Al-Souli, corrected and commented by Muhammad Bahja Al-Athari, printing press Salafiyya, Cairo.
Moroccan and Andalusian Literature between Establishment, Rooting and Renewal, Al-Rab'i Ben Salama.
Fundamentals of Physical Education and Sports, Amin Al-Khouli, Dar Al-Fikr Al-Arabi, 1421 AH-2001 AD, 3rd edition.
Al-A'lam, Khair al-Din al-Zirkli, Dar al-Ilm Lil-Malayin, Beirut.
Sports games, their rulings and controls, a comparative jurisprudential study, Khaled Saadenko, Dar Al-Nawader.
Al-Badi', term and value, Dr. Abdel Wahed Ahmed Allam, Dar Al-Kitab Al-Jami'i.

- Kuwait, 2nd edition, July, Beirut, 1996 AD.
- History of Islamic Urbanism, Jurji Zidane, Hindawi Foundation.
 - Sports history and its peaceful role throughout the ages, Dr. Abdel Nour Al-Omari, Yahya Fari Medea University.
 - Definition of the honorable term, Ibn Fadlallah Al-Omari, study and investigation, study and investigation by Dr. Samir Al-Droubi, Mu'tah University Publications, 1413 AH - 1992 AD.
 - Jawaher Al-Balagha, Ahmed Al-Hashemi, edited by Hassan Najjar Muhammad, Library of Arts, Cairo, 1426 AH - 2005 AD.
 - Psychological Discourse in Ancient Arabic Criticism, Dr. Hassan Al-Bandari, Library of Arts, 2nd edition, 2001 AD.
 - The Egyptian Constitution of 2014.
 - Pioneers of geography in Arab and Islamic civilization, Dr. Ali bin Abdullah Defense, Al-Thuraya Library.
 - Subh Al-A'sha, Abu Abbas Ahmad Al-Qalqashandi, Al-Amiriya Press, Cairo, 1338 AH - 1919 AD.
 - The falcon and hunting among the Arabs, such as the hunter Abu al-Fath Mahmoud bin al-Hasan, study and investigation Muhammad Issa Saliba, Kazma Publishing, Translation and Distribution Company Library, Kuwait, 1st edition, 1985 AD.
 - The Two Industries, Abu Hilal Al-Askari, edited by Ali Muhammad Al-Bajawi and Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Dar Al-Fikr Al-Arabi, 2nd edition.
 - The Brilliant Light of the People of the Ninth Century, Shams al-Din Muhammad bin Abd al-Rahman al-Sakhawi, Dar Al-Jeel, Beirut.
 - Islamic medicine between belief and creativity, Mukhtar Salem, Al-Maaref Foundation, Beirut, 1988 AD.
 - Al-Zahir Baybars, Dr. Saeed Abdel Fattah Ashour, Ministry of Culture and National Guidance, Egyptian General Foundation for Authoring, Translation, Printing

and Publishing, Misr Press.

-Abu Abdullah Shams al-Din bin al-Sayegh (his life, effects, and method), Yearbook of the Faculty of Language

Arabic in Zagazig, Al-Azhar University, Musaed bin Muhammad bin Abdullah Al-Ghufaili, 2013 AD.

Contracts for organizing sports competitions and the resulting responsibilities, Dr. Muhammad Suleiman

Al-Ahmad, Wael Publishing House, 2004.

Al-Badi' Science, Dr. Abdul Aziz Ateeq, Dar Al-Afaq Al-Arabiyya, Cairo, 1st edition, 1417 AH-1998 AD.

Graphic and Creative Arts between Theory and Application, Dr. Hassan Al-Badari, Library of Arts

2 nd edition, 2002 AD.

Lisan al-Arab, Ibn Manzur, Dar al-Hadith, Cairo.

- The Walking Proverb, Ibn Al-Atheer, Cairo.

Egyptian Society During the Era of the Mamluk Sultans, Dr. Saeed Abdel Fattah Ashour, Dar

Arab Renaissance, Cairo.

- Dictionary of the Contemporary Arabic Language, Dr. Ahmed Mukhtar Omar, World of Books, Cairo, vol. 1, 1st edition, 1429 AH - 2008 AD.

- The Mamluks, Dr. Al-Sayyid Al-Baz Al-Arini, Faculty of Arts, Cairo University, Dar Al-Nahda

Arabic, Beirut.

Nihayat Al-Arb, Al-Nuwayri, Cairo.